

سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية د. خالد فهمي

ملخص البحث

تتناول هذه الورقة موضوعاً هو: سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على من خلفه من علماء العربية. وهى تهدف إلى قراءة أبعاد هذه السطوة، وملاحظتها، وخصائصها، ونطاق امتدادها؛ سعياً نحو فحص عوامل ظهورها.

وهو بحث يهدف إلى استنطاق البعد النفسي الذي حكم علماء العربية الذين جاءوا بعد سيبويه، وهم يخضعون لآرائه و يستقبلونها عنه.

والورقة تطمح إلى فحص عوامل هذه السطوة، ولاسيما في بعدها الديني الذي حكم إلى حد بعيد هذا القبول أو الخضوع منهم لقهر آراء سيبويه.

والبحث طموحاً إلى هذا يتناول ما يلي:

- ١ - سطوة آراء سيبويه: مقال في شرعية المصطلح.
- ٢ - كثافة الاستشهاد بما هي معيار لقياس سطوة آراء سيبويه.
- ٣ - سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية: عواملها وخصائصها.
- ٤ - سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية: أبعادها و حدودها.

وهذا البحث يضع في خلفيته التحاور حول ما يمكن أن يتبقى من سيبويه، ومسوغات هذا البقاء إن كان.

The influence of the views of Sibawayh In Arabic phonology

Dr.Khaled Fahmy

Faculty of Arts, University of Menoufia

ABSTRACT

This paper addresses the subject is The influence of the views of Sibawayh

In Arabic phonology It is designed to read the dimensions of this effect The features and characteristics, and the scope of its extension; effort toward examining factors arise.

Search which aims to interrogate the psychological dimension of the rule of the Arab scholars who came after Sibawayh, they are subject to the views and received them with him.

تمهيد

يعد سيبويه المتوفى سنة ١٨٠هـ إماما بكل ما تعنيه الكلمة في العربية وهو بعض ما يظهر في رصد الراصدين لآثاره، وتأثيراته على امتداد العصور المختلفة، وهو ما يقرره كوركيس عواد بقوله إن سيبويه: "شخصية تاريخية ذات شهرة بعيدة في عالم اللغة النحوي... وحجة النحاة في كل عصر ومصر... استطارت شهرته في أنحاء العالمين العربي والإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) حتى عصرنا الحاضر"^(١). وهذه الشهرة المستفيضة هي بعض ما صنع ما سميناه بسطوة آرائه، بما هي محدد مهم ممهد لقبولها والخضوع لها.

ويرى البحث أهمية التوقف أمام استعمال لفظ (السطوة) في محاولة لإقرار علميتها.

— سطوة آراء سيبويه : مقال في شرعية العنوان.

ظهر استعمال لفظ (السطوة) في عدد من أعمال اللسانيين العرب المعاصرين؛ تدليلا على صحة إطلاقه في البحوث اللغوية من دون شبهة مجافاة العلمية، و لو احتمالا وهذان مثالان معاصران دالان على هذا الاستعمال:

أولهما- سطوة القافية: أثر القافية في التطور الصوتي، (٢٠٠٣م).

و ثانيهما- سطوة الشهرة على آراء الباحثين في اللسانيات العربية، (٢٠٠٨م)^(٢)

ومن تأمل ما أوردها فيهما يتضح أن المقصود من استعمالهما هو السلطة التي ملكتها آراء سيبويه في الصوتيات ابتداءً، ثم فرضتها على من جاء بعده من العلماء الصوتيين العرب على امتداد التاريخ.

إن فحص الامتداد الذي حققته منجزات سيبويه في الصوتيات العربية يكشف عن استقرار هذه الآراء لتمثل مؤسسة وكيانا يشبه أن يكون بناءً تسلطيا على حد تعبير الدكتور عبد السلام المسدي.^(٣)

سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على من جاء بعده إذن قوة القاهرة لم يستطع أحد من الصوتيين العرب أن يفر من سلطتها وهيمتها لاعتبارات معرفية في المقام الأول. ومن هنا فإن استعمال لفظ السطوة مرادفا في دلالته لألفاظ السلطة أو الطغيان أو القهر جاء استعمالا حقيقيا لا شبهة للمجاز أو للمبالغة فيه، ولا سيما في سياق وروده في أعمال لسانية معاصرة.

كثافة الاستشهاد بما هي معيار لقياس سطوة آراء سيبويه

(مدخل)

تنبه الفكر المعاصر في ميادين كثيرة إلى استعمال معيار كثافة الاستشهاد للتدليل الظاهري على ما يمكن أن يحظى به شخص أو فكرة أو شيء ما من تقدير، وقياس وزن هذا التقدير. وهذا المعيار المستعار من بنية علم المعلومات و المكتبات^(٤) صالح هنا في قياس وزن ما يتمتع به عالم مثل سيبويه في مجال بعينه هو الصوتيات العربية.

و لسنا بدعا في استعمال هذا المعيار صمودًا إلى تقدير وزن عالم من العلماء؛ فقد سبق توظيفه لقياس الأثر الذي أحدثه عدد من العلماء المعاصرين، وهو ما يمكن أن يمثل مدخلا يبيح لنا ما صنعناه هنا.

في مجال تقدير ما حققه العالم الدكتور أحمد زويل كان توظيف هذا المعيار سبيلا لفحص هذا التقدير، يقول في كتابه: رحلة عبر الزمن... الطريق إلى نوبل: "وعقب الإعلان عن جائزة نوبل أعلن معهد المعلومات العلمية بفيلا دلفيا والذي يقوم بعمل

إحصائيات تبين أهمية الأبحاث المنشورة استناداً إلى تكرارية الإشارة إليها، واستخدامها كمراجع أو حاشية في الأبحاث المناظرة، والذي يعد دليلاً على أهمية البحوث، ومدى تأثيرها في مجالها، أعلن هذا المعهد أن الفيمتو كيمياء قد ورد كحاشية خمسين ألف مرة منذ ظهورها.^(٥)

و التعبير الوارد في هذا النقل وهو (تكرارية الإشارة) هو الترجمة لما يسمى في علم المعلومات باسم كثافة الاستشهاد، وهو المعيار الذي لجأ إليه واحد من المعاهد العلمية العريقة - كما جاء في النقل - لتقدير الأثر العلمي الذي حققه إنجاز أحمد زويل في العلم المعاصر عن طريق تتبع الاقتباسات التي تحاورت معه في أشكالها المختلفة.

وفي ميدان علم اللغة أو اللسانيات تم اللجوء إلى استعمال المعيار نفسه في تقدير الوزن الذي حازه اللغوي المعاصر نعوم تشومسكي، يقول ستيفن بنكر: "يعد تشومسكي الآن واحداً من الكتاب العشرة الأول الذين يكثر الاستشهاد بهم في الدراسات الإنسانية، وهو يتقدم على هيجل وشيشرون ولا يسبقه إلا ماركس ولينين و شكسبير والإنجيل وأرسطو وأفلاطون وفرويد - وهو الوحيد الحي من أفراد هذه المجموعة"^(٦).

صحيح أن القائمة المختبر تكرارية الاستشهاد بها كلها غربي - وهو ما يكشف عن الخضوع لما يسمى بمركزية العقل الأوربي لكنه أمر دال على الوزن و التقدير الذي يحوزه نعوم تشومسكي على الأقل في بنية الثقافة الغربية المعاصرة.

وهو الأمر الذي عاد و ألح عليه اللغوي العربي المعاصر الدكتور حمزة بن قبلان المزيني عندما قال إن "تشومسكي من أكثر من يُستشهد به في العلوم المختلفة؛ فقد استشهد به فيما بين ١٩٨٠م و ١٩٩٢م أربعة آلاف مرة في العلوم الإنسانية و١٦١٩ مرة فيما يسمى بالعلوم الصحيحة"^(٧)

ويستعمل الدكتور مصطفى صفوان وهو واحد من أعظم المحللين النفسانيين المعاصرين المقياس نفسه في تقدير قيمة الفيلسوف الأوربي المعاصر: دافيد هيوم، فيقرر قائلاً (ص ٦٤) في كتابه (الكلام أو الموت اللغة بما هي نظام اجتماعي دراسة تحليلية نفسية): "يعتبر كيلسون أن دافيد هيوم هو أكبر فيلسوف على مدى العصور، وهو يُستشهد به بغزارة!"

وواضح أن معيار الحكم بأهمية هذا الفيلسوف متضمن في هذا التذييل الذي ختمت به العبارة السابقة.

من مجموع هذه الأمثلة يظهر لنا أن استعمال معيار كثافة الاستشهاد أو تكرارته أمر مستقر في تقدير وزن ما حققه الأعلام من العلماء في الميادين المختلفة، وهو ما لجأنا إليه هنا لإثبات إمامة سيبويه في ميدان الصوتيات العربية من منظور شكلي ظاهري أولاً.

وسوف نتوقف في رصد هذه التكرارية الاستشهادية بآرائه على امتداد التصنيف في الصوتيات العربية و الدوائر المتصلة والقريبة منها منذ القديم إلى العصر الحديث، وفق ما يلي:

٢- الاستشهاد المرجعي بسيبويه في مصنفات الصوتيات العربية قديماً حديثاً.

يمثل ظهور سيبويه بما هو نص مرجعي منسرب في الأدبيات الصوتية العربية الخالفة دليلاً على ما سميناه بسطوة آرائه، وفي هذا المطلب سنكشف عن تغلغل المنجز المعرفي المتعلق بالصوتيات العربية في الكتاب لسيبويه في المصنفات العربية التي ظهرت بعدها وفق التقسيم التالي:

● الاستشهاد المرجعي بآراء سيبويه

- في أدبيات الصوتيات العربية التراثية.

في هذا الجزء من هذا المطلب يظهر أن آراء سيبويه ظهرت في المصنفات العربية التي عالجت الصوتيات العربية على مستويات مختلفة، من عدّ المخارج وتقسيمها، وصفاتها، ومعاني مصطلحات هذه الصفات مما يسمى بالجهاز الاصطلاحي لعلم الصوتيات كما جاء عند سيبويه.

- في مصنفات الأصوات الخالصة المختصرة.

وأول ما يقابلنا من الأدبيات الصوتية العربية التي خلصت لمعالجة الأصوات العربية وفق المستويات السابقة - كتاب أبي الأصبع السمانى الإشبلى المعروف بابن الطحان المتوفى سنة ٥٦٠هـ، حيث ظهرت آراء سيبويه معتمدة في كتابه (مخارج الحروف وصفاتها) كما يلي:

أ- عد الحروف (الأصوات) على تسعة و عشرين:

في ابن الطحان ص ٧٩ / س ١ = في سيبويه ح ٤ ص ٤٣١ / س ١٣

ب- موافقة ابن الطحان لما ورد عند سيبويه في تقسيم بعض المخارج، و لما ورد فيها من أصوات.

في ابن الطحان ص ٨٠ س ١-٢ مخرج أقصى الحلق (ء / ألف / هـ) = و في سيبويه ج ٤ / ص ٤٣٣ / س ٢٤، ومخرج وسط الحلق (ع / ح) في ابن الطحان ص ٨٠ / س ٢ = و في سيبويه ح ٤ / ص ٤٣٣ / س ٥، ومخرج أدنى الحلق في ابن الطحان ص ٨٠ / س ٣ (ويسميه مخرج مما يلي الفم) (غ / خ) = وفي سيبويه ٤ / ص ٤٣٣ س ٥.

ج- موافقة ابن الطحان لما ورد عند سيبويه فيما يتعلق بتقاسيم المخارج وإن اختلف عدده عما ورد من عدد سيبويه فهي أي المخارج في ابن الطحان خمسة عشر مخرجاً، موزعة كما يلي: ٣ مخارج للحلق / و ١٠ مخارج للسان، ومخرجان للشفتين = المجموع ١٥ مخرجاً، وهو ذات الترتيب عند سيبويه وإن زاد عند سيبويه مخرج يكمل العدة ستة عشر مخرجاً وهو مخرج الخياشيم.

د- ظهور سطوة سيبويه ظهوراً واضحاً على ابن الطحان في جانب تعريفات المصطلحات الصوتية بشكل يكاد يكون حرفياً.

ومن الأمثلة الدالة على ما نقرره ما يلي:

أ- تعريف ابن الطحان مصطلح الهمس ص ٩٣ / س ٣ بأنه:
"ضعف الاعتماد في المخرج؛ حتى جرى النفس مع الحرف" = وهو في سيبويه ح ٤ / ص ٤٣٤ / س ١٢-١٣ بعد أن ورد تعليقا على الحرف (الصوت) المهموس: "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه!"

ب- تعريف ابن الطحان مصطلح الجهر ص ٩٣ / س ٤

بنص ما في سيبويه ج ٤ / ص ٤٣٤ / س ٧-٨

ج- تعريف ابن الطحان مصطلح الشدة ص ٩٣ / س ٥-٦

بنص متضمن لقيود سيبويه ج ٤ / ص ٢٣٤ / س ١٦

د- تطابق تعريف ابن الطحان مصطلح الرخاوة ص ٩٣ / س ٧-٨

كما في سيبويه ج ٤ / ص ٤٣٥ / س ٢

وإذا كان ابن الطحان اعتمد كتاب سيبويه مع اختلاف يسير في عدد المخارج من غير تصريح باسمه، فإن أبا المعالي الموصلي المتوفى سنة ٦٢١هـ افتتح كتابه (الدر

المرصوف في وصف مخارج الحروف) ص ٢٥/س ١٣ قائلا: "أعلم أن العلماء اختلفوا في عدد مخارج الحروف (الأصوات) فذهب سيويه في جماعة من النحويين إلى أن للحروف ستة عشر مخرجا" وهو ما في سيويه، ثم واصل في عدها و الكلام عليها، وعلى صفاتها، معتمدا تعريفات سيويه بنصها وتعبيراته، وهو ما تنبه إليه الدكتور غائم قدوري الحمد في تحقيقه للكتاب، حيث يقرر في الحاشية (٣) من الصفحة (٢٨) قائلا: "إن تعريف المهموس والمجهور هنا (أي عند الموصلين) مقتبس من تعريف سيويه!"

وقد أطلنا في بيان علامات تأثير سيويه في اثنين من مصنفات الصوتيات العربية التراثية المختصرة الخالصة لمسائلها؛ لذلك على طبيعة الاستشهاد المرجعي الذي حظيت به المادة العلمية المعالجة لعلم الصوتيات العربية عند سيويه من تقدير والتي وجدت طريقها لأدبيات هذا العلم المختصة به عند من جاء بعده، وخلفه لتتجلى في صورة اقتباس حرفي على مستوى بعض المخارج وتقسيماتها، وصفاتها، فضلا عن مستوى اقتباس تعريفات مصطلحات هذا العلم التي حداها هذا الرائد العظيم.

- في التصنيف الخالص المطول في الأصوات.

و أهم الكتب المطولة التي فرغت لدراسة الأصوات العربية في التراث اللغوي كتاب أبي الفتح عثمان ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ الذي عنوانه (سر صناعة الإعراب).

وقد استوعب ابن جني فيه تقريبا آراء سيويه الصوتية، وظهر في تعقيبه على الاستشهاد منه ترجيحه لهذه الآراء في أحيان كثيرة.

وفيما يلي بيان بمواضع استشهاد ابن جني بآراء سيبويه في هذا المجال:

- في ١/٤٥س ١٣ نقل في بيان ترتيب الأصوات من الحلق إلى الشفتين شاهدا له بالصحة = وهو في سيبويه ٤/٤٣٣
 - في ١/٤٦س ١٦-١٧ مناقشة لبعض الآراء المخالفة لسيبويه لتقسيم بعض مخارج الحلق، وتصحيحه رأى سيبويه و اعتماده ورد آراء غيره = وهو في سيبويه ٤/٤٣١-٤٣٣.
 - في ١/٤٩س ١٦ نقل و شرح لمعنى بين يين، وهو شكل من أشكال نطق الهمزة = وهو في سيبويه ٣/٥٤١.
 - وفي ١/٥٨س ٥ دفاع عما فهم خطأ عن سيبويه في بعض مسائل الإدغام = وهو في سيبويه ٤/٤٥٠ فيما يتعلق بدعوى إدغام الهاء في الحاء.
 - وفي ١/٧٤س ٨ نقل في الوقف بقلب الألف همزة = وهو في سيبويه ٢/٢٨٥.
- وفيما يلي نورد أمثلة كثيرة لاستشهادات ابن جني بآراء سيبويه في المسائل الصوتية؛ إشارة إليها؛ لكثرتها:

- ١/٧٩س ٣(إمالة)؛ و ١/٨٤س ٧(إبدال)؛ ١/٢١٩س ١ (إدغام)؛ و ٢/٥١٩س ٣ (إبدال)؛ و ٢/٥٩٠س ١ (إبدال)؛ و ٢/٥٦٩س ١٢ (إبدال)؛ و ٢/٧٠١س ١٣ (وقف) وهو استشهاد سبق منه وروده؛ و ٢/٧٨٠س ٤ (وقف)؛ ٢/٧٩٢س ٤ (إبدال)، ٢/٨٠٩س ٦ يظهر اعتماد رأى سيبويه في أن أصول الألف حرف علة؛ أنها منقلبة عن واو.

وواضح من تأمل هذه النقول وغيرها سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على ابن جني، وهو ما اتضح من الاستشهادات، والتفسيرات التي علقها على بعض المسائل الصوتية، ومن حمله كلام سيبويه على أحسن محامله

- في مصنفات التجويد.

و إذا كان كتاب ابن الطحان المتوفى بعد ٥٦٠هـ من المصنفات النادرة التي خلصت لمعالجة مسائل الصوتيات العربية من غير ارتباط منصوص عليه من جانبه بالأداء القرآني، أو ما يسمى في الاصطلاح العلمي بعلم التجويد، فإن التراث العربي عرف عددًا لا بأس به من المصنفات الصوتية التي عُنيّت بدراسة المسائل الصوتية العربية تخلصًا إلى العناية بالتجويد؛ أي بهدف خدمة القرآن الكريم أدائياً.

وفيما يلي متابعة لسطوة آراء سيويه على آراء الصوتيين العرب الذين جاءوا بعده من خلال فحص عدد من مصنفاتهم في علم التجويد:

- ورد في خاتمة كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، للسعيد المتوفى سنة ٤٠٠هـ تقريباً باب في مخارج الأصوات أتى فيه على ما عند سيويه بتقسيمه و عدّه و ترتيبه (ص ٥١).

- وفي كتابه اختلاف القراء في اللام و النون عند خوضه في مسألة إظهار النون الساكنة والتنوين مع أصوات الحلق نلمح استعماله لتعابير سيويه، وإن يصرح بالنقل عنه؛ حيث فسر سبب الإظهار عندها؛ لأن مخرج النون والتنوين بعيد عن الحلق (ص ٦٤)، وفي سيويه (٤/ ٤٥٤ س ١٢) تفسير لهذا الإظهار - بعبارة: أن هذه الستة (وهي أصوات الحلق: ء هـ / ح ع / خ غ) تباعدت عن مخرج النون ليس من قبيلها.

- وفي كتاب الموضح في التجويد، لعبد الوهاب بن محمد القرطبي، المتوفى سنة ٤٦١هـ نقول كثيرة و مطولة من سيويه، كما يلي:

- نقل في ص ٧٣/س ٩ جاء به للتفريق بين الإشمام و الروم = وهو في الكتاب ٤/١٦٨-١٦٩؛ صحيح أن النقل خاص بعلامات الظاهرتين الصوتيتين خطياً، وهى النقطة بعد الحرف للإشمام، و المدة بعده للروم، لكن ذلك جاء لخدمة الظاهرة الصوتية؛ أي أنه لا يصح الادعاء بأن هذا النقل غير خاص بالعلم الصوتي.
- نقل في ص ٧٧/س ٦ نصا يعلن فيه اعتماده كلام سيبويه الخاص بتحقيق ذوات الأصوات ومخارجها، وبيان أجناسها، ومقصوده من ذوات الأصوات: وصفها وبيان كيفية إنتاجها، يقول: "أما تحقيق ذواتها (أي الأصوات) وذكر مخارجها، وتبيين أجناسها، وذكر مراتبها في الاطراد، فنذكرها على ما ذكره سيبويه، رضي الله عنه". = وهو الموجود في سيبويه (٤/٤٣١) و قد استمرت مناقشة القرطبي الإيجابية لما اعتمده من كلام سيبويه حتى بلغت الصفة (٩٣).
- نقل في ص ١٢٩/س ١٣ نصا يتعلق بتعريف الإدغام، و فسر = وهو في سيبويه ٤/١٣٧ و الإدغام ظاهرة صوتية هي المماثلة الصوتية.
- نقل في ص ١٧١/س ٨ نصا يتعلق بتعليل إخفاء النون مع الأصوات الفموية على حد تعبيره؛ و يقصد بها أصوات المخارج من اللهاة إلى الشفتين = وهو في سيبويه ٤/٤٥٤.
- وفي ص ٢٠٨/س ٧ نقل خاص ببيان فارق ما بين الروم والإشمام = وهو في سيبويه ٤/١٦٨ وما بعدها.
- ومثل هذه السطوة التي رأيناها مهيمنة على بناء كتابي السعيدى، نجدها في كتاب (تجويد القراءة و مخارج الحروف) لابن وثيق الأندلسي المتوفى سنة ٦٤٥هـ،

حيث اعتمد ما عند سيبويه من عد المخارج، وتقسيماتها، وصفاتها، وتعريف مصطلحات هذه الصفات على ما نرى في الصفحات التالية:

- ص ٦٣/ ١٣ عدد الأصوات إجمالاً.
- ص ٦٥/ ٧ عدد المخارج وأقسامها، موزعة في ١٦ مخرجاً على ثلاثة أقسام كبرى.
- ص ٦٩/ ٢ والصفحات التالية لها: حيث تحدث عن صفات الأصوات بتعريف سيبويه لها.

- وتستمر علامات تكرارية الاستشهاد بكلام سيبويه بما هي علامة مرصودة لقياس سطوة آرائه على من جاء بعده من علماء الصوتيات العربية، كما نرى في فروع علم التجويد، فتتجلى هذه العلامة عند واحد من أشهر علماء التجويد العرب كافة هو ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ في كتابه (التمهيد في علم التجويد)، حيث تكرر اعتماد كلام سيبويه، والاستشهاد به، في المواضع التالية: - في ص ١١٣/ ٢ وما بعدها نقل عن سيبويه يتعلق بعد المخارج وحصرها في ١٦ مخرجاً، وعلى الرغم من ذكره عد العلماء المختلفين للمخارج؛ وهى ١٧ مخرجاً عند الخليل، و ١٤ مخرجاً عند الفراء فإنه اعتمد عد سيبويه، ووزع الأصوات على وفاق عده ثم قال في ختام استشهاده بكلامه ص ١١٤/ ٨ "و هذا على مذهب سيبويه".

- ولابن الجزري هذا كتاب مهم في هذا المجال المعرفي وهو منظومته المعروفة بالمقدمة الجزرية في علم التجويد، ومن أشهر شروحيها (الطرازات المعلمة في شرح المقدمة) لعبد الدائم الأزهرى المتوفى سنة ٨٧٠هـ، وفيه اقتباس لعدد من الآراء الصوتية التي ذكرها سيبويه في كتابه؛ من مثل نقله عنه: في ص ١٥٧/ ٦ رأيه الخاص بإدغام بعض الأصوات لعله (التقارب) في المخرج أو

الصفة، وليس لعلّة (التجانس) التي هي الاتحاد في المخرج أو الصفة = وهو في سيبويه ٤/٤٣٣) على ما في اللام والراء اللذين هما مختلفان في المخرج عنده؛ لكنهما متقاربان.

- ويتواصل ظهور الاستشهاد المرجعي بكلام سيبويه في الصوتيات في مصنفات التجويد حتى يصل إلى العصور المتأخرة على مشارف العصر الحديث، وهو ما نرى أدلته عند محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده المتوفى سنة ١١٥٠هـ في كتابه (جهد المقل) فهو قد استشهد بكلام سيبويه في المسائل الصوتية المختلفة كما يلي:

- ص ١٢٢ / س ٢ نصّ صرح فيه بعد سيبويه للمخارج، متحاورا معه ومفسرا جعل مخرج الألف من مخرج الهمزة مجازا، بعلاقة المجاورة؛ مبديا ما يشبه الاعتذار لسيبويه لقوله بعد المخارج ستة عشر مخالفة للخليل الذي عدها سبعة عشر بعدر إرادة تقليل أقسام هذا المخرج !

- وفي ص ١٢٥/س ٥ نقول عن سيبويه يناقشه فيها، فيما يتعلق بوصف بعض الأصوات.

- وفي ص ١٤١ وما بعدها اعتماد لتعريفات مصطلحات صفات الأصوات من الجهر و الهمس وغيرهما التي جاءت عند سيبويه، وهو وإن لم يصرح بذكر سيبويه في هذا الجزء، فذلك ربما يكون راجعا إلى شهرة نسبة هذه التعريفات إلى سيبويه.

- في مصنفات القراءات.

وفي سياق الكشف عن ملامح سطوة آراء سيبويه في المصنفات التي يقتضى بناؤها المعرفي الانشغال بعدد من المسائل الصوتية النظرية والتطبيقية أو علميا ووظيفيا.

ومن أشهر العلوم التي اعتنت بالانشغال ببعض ما ينضوي في بنية علم الصوتيات علم القراءات القرآنية.

وقد ظهر الاستشهاد بآراء سيويه في عدد كبير منها فيما يخص آراءه الصوتية، واعتمادها، وتقديرها، ومناقشتها، والتحاور معها، مما يعكس ملمحا إيجابيا في التعامل مع الاستشهادات المرجعية بآرائه في هذا الفرع المهم من فروع الدرس اللغوي.

وفيما يلي التمثيل بعدد من المصادر المعتبرة في علم القراءات القرآني، يظهر من فحصها اعتماد آراء سيويه في مسائل صوتية:

من هذه المصنفات كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ: وفيه من الاستشهادات المنقولة عن سيويه في الصوتيات ما يلي:

- ١/ ٥٥س ١٣ نقل من سيويه يتعلق بالإدغام في (ثوب بكر) بين الباءين = وهو في سيويه ١/ ٤٤٠س ٨،
- ١/ ٦٧س ٦ نقل من سيويه في منع مد أصوات المد واللين إذ تلاها غير مشدد = وهو في سيويه ٣/ ٥٢٥.
- وفي ١/ ٧٨س ٦ نقل عن سيويه يبين أنه إذا توالى همزتان أولاهما مضمومة نطقت الثانية بين الهمزة و الياء = وفي سيويه ٣/ ٥٤٩س ٥، بإطلاق تخفيف الثانية.

وقد أحسن الدكتور محيى الدين عبدالرحمن رمضان عندما أورد المسائل المقتبسة من سيويه في فهرس الأعلام الواردة في كتاب مكى ٢/ ٤٨٠ - ٤٨١.

وقد ظهر منها أن مكى بن أبى الطالب اقتبس في كتابه أقوالا خاصة بالصوتيات من سيويه فيما يقرب من عشرين مرة.

وفي كتاب (الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل من مذهب لقراء السبعة في التفخيم والإمالة)^(٨) لابن غلبون المتوفى سنة ٣٨٩هـ؛ أثر لهذه السطوة، ووضح من العنوان أنه وإن كان الانتماء المعرفي للكتاب واردا ضمن علم القراءات القرآنية فإنه متماس مع علم الصوتيات في بعض مسائله وهى التفخيم والإمالة؛ ففيه في (٣٤٥/٥) نقل من سيويه يبين أن الأصل في تاء (توراة) هو الواو أبدلت تاء = وفي سيويه ٣٣١-٣٣١/٤

وفي كتاب (حجة القراءات) لأبى زرعة بن زنجلة المتوفى في القرن الرابع الهجري اقتباسات مرجعية من سيويه تدعم تقدير وزن كتاب سيويه في الدرس الصوتي العربي بعده، ومن أمثلة اقتباساته لآراء سيويه الصوتية ما يلي:

- في حجة القراءات ص ١٦٧/٢ نقل يفسر زيادة الواو في مثل (ضربتهو) والألف في مثل (ضربتها) = وهو في سيويه ١٨٩/٤ س٣، وقد تكرر هذا النقل في الحجة ٢٩٠/٢ س٢

- وفي ص ٢٧٦/٦ نقل فيه بيان لمخرج الألف من حيز أصوات الحلق؛ ولذا ناسب فتح الهاء في مثل النهر، والزهر، والعين في مثل الطعن؛ لأنهما من حيز واحد، أو من مخرج واحد عند سيويه = وهو في سيويه ٤٣٣/٤.

- وفي الحجة ٢٩٩/١١ نقل عن سيويه في تفسير الإبدال الواقع في خطايا = وهو في سيويه ٥٥٣/٣.

- وفيها ٤٣٧/٤ س١٣ نقل عن سيويه في تجويز إمالة نحو (يا، وتا، وها) = وهو في سيويه ١٣٥/٤ س٩ بشرط ألا يسمى بها، فإن سُمى بها لم يجوز إمالتها، والاقتباس يسقط هذا الشرط؛ وهو إسقاط مفهوم؛ لأنه يفسر إمالة هذه الحروف

في القرآن الكريم، ولم يسم بها في الكتاب العزيز طبعاً! وتكرر في الحجة الاستشهاد بآراء سيويه المتعلقة بإمالة أمثال هذه الحروف في ٥٩٥/س ٣.

- وفي الحجة ٦٥٨/س ٣؛ س ١١ نقول تتعلق بأثر الوقف والوصل في إثبات بعض الأصوات و حذفها = وهى في سيويه ١٨٣/٤.

- في المصنفات الأخرى.

ولم تقف علامات تقدير منجز سيويه في الصوتيات العربية في اقتباسها استشهادات مرجعية في الأنواع المختلفة من المصنفات التي فرض انتمائها المعرفي أن تحشد عددًا من المعلومات الصوتية المتنوعة، ولكنها، أي هذه العلامات، عرفت طريقها إلى عدد كبير آخر من مصنفات العلوم العربية؛ كمصنفات البلاغة تعييناً. وفيما يلي تمثيل ببعض هذه المصنفات لندلل على اتساع نسبة كثافة الاستشهاد بآراء سيويه في الصوتيات العربية عند من خلفه من علماء العربية في المجالات المختلفة.

ومن هذه المصنفات البلاغية التي قدمت بين يدي مباحثها بعدد من المسائل الصوتية كتاب (سر الفصاحة)، لابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ، وقد استشهد بآراء سيويه، ونص على ذلك، ومن مواضع استشهاده بآرائه في الصوتيات ما يلي:

- ص ٢٥ / س ١٢ نقل في عدِّ مخارج الأصوات، ثم عقب قائلاً: "وهذا على ترتيب سيويه" = وهو في الكتاب ٤٣١/٤ وما بعدها.

ومثل ذلك فعله السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ في مفتاح كتابه (مفتاح العلوم)، وهو على الرغم مما يبدو من أنه اختط لنفسه ترتيباً و تقسيماً حاول أن يبدو فيه مستقلاً، فإن هيمنة آراء سيويه الصوتية ظاهرة على ما أورده في مدخل كتابه من معلومات صوتية في العلامات التالية:

- ١- عدد الأصوات ٢٩ صوتاً؛ كما ورد في ص ٥ س ٩.
 - ٢- عدد مخارج الأصوات ١٦ مخرجاً؛ كما في ص ٥ س ٢٠.
- وتوزيع الأصوات عليها؛ كما ورد في ص ٥ س ٢٠-٣٠ = وهو بنص ما نقل في سيبويه ٤/٤٣٣ س ٣-١ من الصفحة ٤٣٤!

لقد سكنت الورقة هنا عن الحديث عن كتابين مهمين جداً في هذا الباب من العلم اللغوي وهما:

- ١- رسالة يعقوب الكندي في اللثغة.
 - ٢- رسالة أسباب حدوث الحروف، لابن سينا.
- لأنه لم يرد فيهما نقل صريح من سيبويه، ولكن عدداً من القرائن تشير إلى احتمال قوى يقرر اعتماد ابن سينا تعييناً على آراء سيبويه، وهو ما يظهر على الأقل في الترتيب الذي أورده ابن سينا في رسالته المذكورة، حيث بدأ بأصوات أقصى الحلق من غير تسمية المخرج وهي: أصوات الهمزة والهاء، ثم ثنى بأصوات وسطه وهي: العين والحاء، ثم بأصوات أدناه وهي: الخاء والقاف، وضم إليهما الغين؛ صحيح أن ثمة تغييراً ظاهراً نلمسه بين الترتيبين؛ لكنه دال بأمارات التشابه الكبرى على ما نرجحه، بحيث يستمر الترتيب بعد ذلك: فيوالى بين الكاف ثم الجيم ثم الشين إلخ.
- وقد أسقط ابن سينا أصوات العلة، وأوردها ختاماً، وهو ملحوظ جرّ اختلافها ظاهرياً بين ترتيبيّ الرجلين.

ولكن الحق يقتضى أن نقرر أن ترتيب سيبويه الذي لم يسقط أصوات العلة كان وفياً للمنهجية؛ لأنه يرتب الأصوات على مخرجها من دون النظر إلى أقسامها من حيث هي صامتة أو علة، وهو ما خلط فيه ابن سينا^(٩).

أما رسالة الكندي فلم يتبين لنا قرائن يمكن معها ترجيح تأثير سيبويه من عدمه.^(١٠)

● **ملاحظات على قائمة المصنفات التراثية التي استشهدت بآراء سيبويه في الصوتيات.**

لقد طال هذا المطلب؛ لأنه يعد العماد الشكلي لرصد القيمة التي حققها سيبويه في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب في واحد من أهم مستويات دراسته ألا وهو مستوى الدراسة الصوتية

وقد ظهر من تأمل هذه القائمة الانتقائية مجموعة من العلامات الدالة على طريق قراءة ملامح السطوة التي مارسها آراء هذا الإمام اللغوي في ميدان الصوتيات العربية، بما هي دليل ظاهر على إمامته في خدمة اللسان العربي. وفيما يلي رصد لها لما ظهر من هذه العلامات:

أولاً - الامتداد الزمني؛ فقد هيمنت آراء سيبويه في هذا المجال كما تجلّى في الاقتباسات المرجعية من الكتاب على مستوى الأدبيات اللغوية و العربية التراثية، بدءاً القرن الثالث الهجري أي بعد وفاته بعقود قليلة جداً، واستمر هذا الامتداد على مستوى التصنيف اللغوي والعربي التراثي حتى القرن الثاني عشر الهجري، وهو ما يتضح من سني وفيات العلماء أصحاب المصنفات التي فحصنا أمر استشهادها بآراء سيبويه الصوتية.

ثانياً - الامتداد المكاني، أو الجغرافي: بحيث لم يقتصر تأثير سيبويه على الدرس اللغوي (أو الصوتي) في المشرق العربي وحده؛ بحكم انتمائه له، ولكنه تعدى لتظهر تجلياته في المغرب العربي والأندلس، وهو ما ظهر مثلاً في الاستشهادات المرجعية التي اقتبسها أمثال: ابن وثيق الأندلسي المتوفى سنة ٦٤٥هـ.

ثالثاً- الامتداد اللساني؛ وأقصد بهذه العلاقة أن تأثير سيبويه في الدرس الصوتي كان ظاهراً عند المصنفين من غير العرب، وإن كانوا مسلمين، ويعرفون العربية، وهو ما ظهر مثلاً في الاستشهادات والاقتباسات التي نقلها ساجقلى زاده الرومي (التركي) المتوفى سنة ١١٥٠هـ.

رابعاً- الاعتداد بآراء سيبويه الصوتية، حيث ظهر عند الجمهور من العلماء الذين استشهدوا بآرائه أنهم يقدرونها في مواجهة الآراء الأخرى؛ لدرجة أن عدداً منهم رمى بعض آراء الخليل بن أحمد بالخطأ في أبواب الترتيب والمخارج وغيرها!.

ومما يدعم هذه العلاقة ما لاحظناه من أن الذين تعرضوا للرد على سيبويه في بعض المسائل الواردة في كتابه؛ مما هو مشهور من صنيع المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ خلت قوائم انتقاداتهم من المسائل المنتمية إلى مستوى الدرس الصوتي وكادت على ما يظهر من قائمة مسائل الانتقاد التي أوردها ابن ولاد ٣٣٢هـ ليفندها، وينتصر فيها لسيبويه في مواجهة المبرد؛ فلم يرد في المسائل التي ردها المبرد إلا مسألتان تتعلقان بمبحث الإدغام لم يسلم للمبرد انتقاده سيبويه فيهما.

خامساً- تنوع المصنفات التي استشهدت بآراء سيبويه؛ أي أن الاستشهادات المرجعية والاقتباسات لآرائه الصوتية عرفت طريقها للأنواع المختلفة من المصنفات اللغوية، نثرية ومنظومة، ومختصرة ومطولة، ولغوية؛ بالمعنى الدقيق، وغير لغوية.

سادساً- اتساع نطاق الاستشهاد المرجعي بآراء سيبويه الصوتية، لا على مستوى الزمان والمكان، فحسب كما مر بنا، وإنما على نطاق المجالات والفروع التي يعنى بها علم الأصوات بحيث ظهرت الاستشهادات بآرائه في عدد الأصوات العربية، و في أقسامها الصامتة والصائتة، ومخارجها، وتوزيعها على هذه المخارج، و في صفاتها، و في تعريفات المصطلحات المستعملة في هذا العلم.

صحيح أن هذا البحث هنا لم يتوقف عند علامات سطوة آراء سيويه الصوتية في مصنفات النحو العربي؛ بسبب ظاهر جدا وهو أن سيويه بكتابه كان أساسا اعتمده نحاة العربية بعده في بناء مصنفاتهم النحوية، بما في ذلك استثمار المعلومات الصوتية بما هي جزء من تصور علم النحو في النظر التأليفي التراثي. وإلا فإن مراجعة نحوي واحد كالزخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ في كتابه (المفصل في علم العربية) شاهدة على هذه السطوة الظاهرة؛ بحيث ظهرت آراء سيويه الصوتية بدءاً من (ص ٣٤٨) حتى نهاية الكتاب (ص ٤٣٢) في أبواب الإمالة والوقف و تخفيف الهمزة و الإبدال والإعلال والإدغام وغيرها، وكان حضور آرائه حضوراً فعالاً في بناء المادة العلمية عند الزخشري.

ومن كل هذه العلامات يمكننا أن نقرر أن سطوة آراء سيويه في الدرس الصوتي العربي التراثي كانت بالغة الدرجة الكبرى التي لا يقترب منه فيها أحد غيره، من دون التنكر لقيمة منجز التحليل الصوتي بطبيعة الحال.

● الاستشهاد المرجعي بآراء سيويه في الدرس الحديث.

لم يتوقف ظهور آراء سيويه الصوتية عند حدود المصنفات التراثية. وإنما امتد ذلك الحضور الذي يمكن أن يوصف بوصف القوة من دون شبهة مبالغة أو مجاز، وهو ما يدل على القيمة العلمية التي يمثلها منجز سيويه في درس الصوتيات العربية. وليس بوسع الورقة هنا أن تزعم أنها قادرة على متابعة تكرارية الاستشهاد بآراء سيويه في الدرس اللغوي أو الصوتي المعاصر، بسبب ظاهر يمكن أن نعبر عنه بعدم الإمكان، ومن هنا فقد ظهر للورقة أن تدلل على سطوة آراء سيويه في الصوتيات العربية في الدرس المعاصر، عن طريق استعمال معيار كثافة الاستشهاد المرجعي في

عدد مختار أو (عينة نوعية) يضبطها ضابط هو: التوزيع الجغرافي، شرقا وغربا؛ (أي: في الثقافتين العربية والأجنبية).

وفيما يلي محاولة للكشف عن سطوة آراء سيبويه تذرعا إلى تقدير قيمتها في الدرس اللغوي المعاصر، من خلال قائمة نوعية من الدراسات الصوتية المعاصرة موزعة على الغرب والشرق.

● الاستشهاد المرجعي بآراء سيبويه في الصوتيات العربية في الدراسات الغربية المعاصرة.

إن افتتاح هذه النقطة بتقديم فحص ظهور آراء سيبويه الصوتية في الدراسات الغربية مرده إلى أن الغرب هو الذي افتتح تاريخيا إحياء دراسة اللغة العربية في ضوء المعارف الحديثة.

وفي هذا السياق تقابلنا مجموعة من الدراسات البارزة التي وقفت كليا أو جزئيا أمام جهود سيبويه في دراسة الصوتيات العربية؛ تحليلا، وتثمينا، وكشفا عما تتسم به من خصائص ومزايا.

ولعل أشهر الدراسات المعاصرة التي أوقفها صاحبها للدرس الصوتي عند سيبويه هي (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) للمستشرق الألماني: شاده shade (١٨٨٣م - ١٩٥٢م).^(١١) وهذه الدراسة ظهرت أولا سنة ١٩١١م، ثم طورها ونشرها بالقاهرة سنة ١٩٣١م.

ويبدو (شاده) واضحا تماما في تقدير قيمة المنجز المعرفي في ميدان الصوتيات العربية الذي حققه سيبويه عندما يقول: "وعلى كل فأول من خلف لنا وصفا مفصلا لأصوات العربية و إنتاجها، هو رجل فارسي الأصل؛ أعنى... سيبويه"^(١٢).

والدراسة هذه نموذج مهم في باب تقدير قيمة ما خلفه سيبويه في الصوتيات العربية في الدرس اللغوي التراثي.

ولم يكن شاده هو المستشرق الوحيد الذي التفت إلى قيمة ما توصل إليه سيبويه فيما يتعلق بدراسة الأصوات العربية، وإنما ظهر عدد آخر من الدارسين الغربيين الذين عرفوا قدر الرجل وقدر ما توصل إليه في هذا الباب

ومن المستشرقين الذين وقفوا أمام جهود سيبويه في الدرس الصوتي العربي المستشرق الألماني جوتهلّف برجشتراسر (١٨٨٦م-١٩٣٢م). حيث يظهر من قراءة الباب الأول (في أصوات اللغة) من كتاب (التطور النحوي للغة العربية)^(١٣).

ويظهر في هذا الكتاب الاستشهاد بآراء سيبويه، والتعليق عليها ودرسها في أكثر من موضع؛ حيث يظهر سيبويه في عد المخرج، وفي صفات بعض الأصوات في مخالفة للمستقر في الدرس الصوتي الحديث، مثلما يظهر من حكمه على صوت العين بأنه صوت متوسط (ص ١٥)، وفي هذا السياق يقرر الدكتور رمضان عبد التواب في الحاشية الأولى: "تابع المؤلف هنا سيبويه".

ثم يعود فيذكر سيبويه في سياق دراسته المقارنة بين ما ورد من وصف للأصوات العربية عند سيبويه بما في اللغات السامية (ص ٢٣ من طبعة الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله) و (ص ١٣ من طبعة محمد حمدي البكري رحمه الله).

ثم جاء هنري فليش في كتابه (العربية الفصحى: نحو بناء لغوي جديد)، ليظهر الاستشهاد المرجعي بأقوال سيبويه في الصوتيات العربية في الباب الأول من هذا الكتاب الذي خصصه لدراسة أصوات العربية الفصحى، فترى نقولا من سيبويه ومناقشتها في (ص ٥١) س ١٢؛ وفي ص ٥٢ س ٢؛ و ص ٥٥ س ٤، وهى مواضع

أفردت لمناقشة سمات الأصوات، ونقل عن سيبويه في ص ٦٥ ح ١ في حديثه عن النبر. ثم ظهرت الاستشهادات المرجعية لأقوال سيبويه في المجال نفسه عند جان كانتينو في كتابه (دروس في علم أصوات العربية) في مواضع مختلفة بدءاً من عدد حروف المعجم في ص ٢٩ ح ٢، ثم في نظرية مخارج الأصوات في ص ٣١ ح ١، وفي هذا السياق يقرر: "ونظرية المخارج عند النحاة العرب (سيبويه) نظرية أحكموا ضبطها بعناية"، ثم يظهر سيبويه في سياق مناقشة صفات الأصوات العربية بدءاً من ص ٣٥. وفي الظواهر التابعة للأصوات؛ ويقصد بها ظواهر التغير أو التطور الصوتي من مثل الاقتباس من آراء سيبويه ص ٤٣ س ١٣، وص ١٠١ س ٦، وص ١٠٦ س ٢٤، وص ١١٦ س ١٢، وفي مواطن أخرى كثيرة.

ويلاحظ على هذه النماذج التي اعتمدت على أقوال سيبويه أنها لم تكن ترصد أقوالاً من مداخل تاريخية تقرر أن ثمة جهوداً في الدرس الصوتي العربي ظهرت وإنما كان اعتمادها إيجابياً؛ بمعنى أن هذه الدراسات الغربية وقفت أمام جهود سيبويه الصوتية، وثلّمت ما ورد فيها من آراء منضبطة لا تختلف في كثير منها عما توصل إليه الدرس الصوتي الحديث.

كما ظهر من ملاحظة تعامل هذه الأدبيات الصوتية المعاصرة أن أي درس للصوتيات العربية لا يمكنه مجال تجاوز ما حققه سيبويه وتوصل إليه من نتائج صادقة ومطابقة لما توصل إليه الدرس المعاصر للصوتيات العربية.

كما ظهرت الاستشهادات المرجعية بآراء سيبويه في الصوتيات العربية في صورة منظمة إذا ما قورنت بطريقة ظهورها في الاستشهادات المرجعية بهذه الآراء في المراجع التراثية.

وكان التعامل مع آراء سيبويه الصوتية في المراجع الغربية المعاصرة أكثر إيجابية بحيث تجاوزت هذه المراجع مع الآراء؛ تفسيراً، وتحليلاً، و تعليقاً. واعتراضاً.

من جانب آخر فإن ما رصدته الورقة من خصائص الاستشهاد المرجعي بأقوال سيبويه في الملاحظات المدونة على قوائم المصنفات التراثية يمكن أن يصدق هنا؛ بحيث يمكن أن نقرر أن الامتداد الزمني والمكاني ظاهر هنا في امتداد المساحة الزمنية لظهور أقوال سيبويه الصوتية في المراجع الغربية، وظاهر في تنوع الخريطة الجغرافية للمستشرقين المتعاملين معها.

الاستشهاد المرجعي بآراء سيبويه في الصوتيات في الدرس اللغوي العربي المعاصر.

يبدو أن الحديث عن كثافة الاستشهاد بآراء سيبويه الصوتية في هذه الفقرة لا مسوغ له إلا من باب استكمال التقسيم المنطقي لمطالب هذه الورقة !

و لعل من الصواب أن نقرر أنه لا يوجد دارس معاصر في فرع الدراسة الصوتية العربية أو المقارنة أو التقابلية يمكن أن يهمل آراء سيبويه في هذا الباب من العلم اللغوي.

ومن ثم فإن متابعة ما سميناه بكثافة الاستشهاد بآراء سيبويه في التأليف اللساني المعاصر يصبح ضرباً من الانتحار!، ومع ذلك فإن في مراجعة عدد منها مما يمكن أن يكون ذا دلالة في هذا السياق وجهاً مقنعاً للتدليل على الحضور الطاعني لآراء سيبويه الصوتية.

وفي هذا السياق يصح الإشارة إلى حضور سيبويه عالمياً في مجال الدراسة الصوتية في مؤلفات رواد الدرس اللغوي المعاصر؛ في مثل كتابات الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور علي عبد الواحد وافي، والدكتور محمود السعران، والدكتور عبد الرحمن

أيوب، والدكتور تمام حسان، والدكتور كمال بشر، ثم مؤلفات رواد الجيل الثاني من علماء الدرس اللغوي المعاصر من مثل: الدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور عبده الراجحي، والدكتور سعد مصلوح، والدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور رمضان عبدالتواب، والدكتور صالح القرمادي، والدكتور الطيب البكوش، والدكتور محمد صالح الضالع، والدكتور عبد العزيز علام.

ومع ذلك فإن التوقف أمام بعض الدراسات النوعية المعاصرة دال على الحضور القوي لآراء سيبويه الصوتية وفعاليتها في دعم الدرس الصوتي المعاصر للعربية.

إن تأمل القائمة التالية ربما يكون دالا في هذا السياق على حضور آراء سيبويه الصوتية في الدرس المعاصر، بما هي موقوفة على الدراسة الصوتية من خلال الإسهام العربي التراثي، و فيما يلي عناوانات هذه القائمة:

١- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد (بغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)^(١٤)

٢- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، للدكتور عبدالعزيز أحمد علام، القاهرة سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م

٣- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، للدكتور عبد القادر مرعي الخليل، جامعة مؤتة سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

٤- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبد العزيز الصيغ، بيروت ودمشق سنة ١٩٩٨م.^(١٥)

٥- المدخل إلى علم أصوات العربية، للدكتور غانم قدوري الحمد، المجمع العلمي ببغداد، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.

– ملاحظات على قوائم المراجع اللغوية المعاصرة التي استشهدت بآراء سيبيويه الصوتية.

يظهر من تأمل الاستشهادات المرجعية بأقوال سيبيويه فيما يتعلق بدراسة الصوتيات العربية ما سبق ظهوره من علامات في قوائم المراجع التراثية، بحيث يمكن أن نقرر أن الخصائص التالية كانت بارزة و ظاهرة:

أولاً- الامتداد الزمني بداية من العصر الحديث إلى الآن غربا و شرقا.

ثانيا- الامتداد المكاني، بحيث ظهرت العناية بجهود سيبيويه الصوتية في الدرس الغربي والعربي معاً.

ثالثاً- التنظيم؛ بمعنى أن اقتباس أقوال سيبيويه خضع للتنظيم والتقسيم وفق منهجية الدراسات المعاصرة.

رابعاً- التعامل الإيجابي؛ بمعنى أن الاقتباسات لم تكن سلبية بفرض بيان إسهام سيبيويه فقط، ولكن تعدى الأمر إلى تحليل منجزه، ومناقشته، وبيان نقاط التقدم فيه في ضوء ما تقرره الدراسات المعاصرة.

خامساً- الشكل الجديد، ونعني بذلك أن الاستشهادات المرجعية بكلام سيبيويه في الصوتيات العربية أخذ شكلاً جديداً أكثر استقلالاً في كثير من الأحيان؛ بحيث ظهر لأول مرة أفراد جهود سيبيويه بدراسات مستقلة قائمة بذاتها، وهو ما لم يظهر من قبل.

● سطورة آراء سيبيويه في الصوتيات العربية: عواملها وخصائصها.

إن تأمل ما رُصد في المطالب السابقة يشير إلى أن ثمة عوامل بعينها كانت في خلفية هذه السطورة التي لازمت آراء سيبيويه الصوتية في تجلياتها في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، مدعومة بخصائص محددة لهذا المنجز الذي حققه سيبيويه.

وفيما يلي قراءة لأهم هذه العوامل التي أسهمت في ظهور هذه السطوة في تعانقها مع خصائص هذه الآراء التي لازمتها:

أولا - الدوران حول خدمة الكتاب العزيز:

أدرك بعض الدارسين المعاصرين هذه الحقيقة، كما ظهر من مقدمة (شاده): (ص ٣١) مثلا. وقد كان هذا الدوران حول خدمة القرآن الكريم قائما من طريقين هما: طريق غير مباشرة، و طريق مباشرة، كان أولهما أسبق في الظهور؛ فإذا كان منجز سيبويه في الصوتيات العربية قد ورد في سياق التحليل النحوي واللغوي للعربية؛ فإن نشأة الدرس النحوي بخاصة واللغوي بعامة كان هدفه خدمة لغة الكتاب الكريم؛ ومن ثم فإنه و بطريق غير مباشرة يصح القول إن عاملا من عوامل سطوة آراء سيبويه الصوتية على من جاء بعده من دارسي العربية كان بسبب من هذا الارتباط بين آرائه وإرادة خدمة الكتاب العزيز.

وهو ما ظهر في هذا النقل و التطوير لهذه الآراء الصوتية من قبل علماء التجويد، الذين استثمروا منجز سيبويه في تأسيس علم الأصوات القرآني الذي عرف باسم علم التجويد؛ وهو الأمر الذي لمسناه سلفا من خلال فحص كثافة الاقتباسات لآراء سيبويه الصوتية، بحيث يمكن أن نقرر أن الانتصار لآراء سيبويه الصوتية واستثمارها أحد أكبر المبادئ التي أسهمت في البناء المعرفي لعلم التجويد؛ بما هو علم الإحاطة بخصائص القرآن الكريم على المستوى الصوتي، والأدائي، وهذا هو الجانب المباشر في قضية الدوران حول القرآن الكريم. وربما يكون هذا الارتباط بين آراء سيبويه الصوتية وإرادة خدمة الصوتيات القرآنية سببا آخر، في إضفاء بعد ديني أسهم في التقدير القوي لجهود سيبويه في الدرس الصوتي العربي على امتداد التاريخ، وهو

أمر ظاهر عند الدارسين العرب وغير العرب. يقول شاده (ص ٣٠): "وإذا سأل سائل: ما هو الباعث الذي حث العرب على دراسة أصوات العربية، وعلى إنشاء قواعد نطقها؟، أجبت: يظهر أن هذا الباعث كان القرآن الشريف؛ فإن العجم الذين أسلموا في القرنين الأولين من قرون الإسلام كان يهمهم للغاية أن يحسنوا قراءة المصحف الشريف، وينطقوا أصواته نطقاً عربياً خالصاً، ولم يروا إلى ذلك سبيلاً إلا بعد تعميق المطالعة لأصوات اللغة العربية، وإحكام إنتاجها، فيظهر أن حدوث علم الأصوات عند العرب مقرون بنشوء علم التجويد" الذي كان بناؤه مؤسساً على منجز سيبويه الصوتي، وهو بعض ما وهب آراءه هذه السطوة الظاهرة على من بعده من الخالفين، وهذا التوجيه الديني للدرس اللغوي لا يقف عند حدود توجيه الدرس الصوتي وإنما يتعداه لبقية الجوانب المختلفة.^(١٦)

ثانياً - القيمة العلمية لمنجز سيبويه في الدراسة الصوتية:

لم يكن دوران الدرس الصوتي حول القرآن الكريم فيما صنعه سيبويه هو العامل الوحيد الذي حقق هذه السطوة المرصودة في الأدبيات اللغوية و الصوتية بعد سيبويه، ولكن عاملاً مهماً توافر فأسهم في تحقيق هذه السطوة وهو القيمة العلمية الحقيقية لمعلومات الدراسة الصوتية فيما كتبه سيبويه، وهو الأمر الذي وصفه الدارسون المعاصرون للمسائل الصوتية عند سيبويه، يقرر شاده (ص ٣٢) أن الوصف المفصل لأصوات العربية وإنتاجها لو لم يكن صحيحاً لما كان مصدراً لكل ما أحدثه المتأخرون من علماء العرب في علم الأصوات، ثم يقول إجمالاً (ص ٩٩-١٠٠) إن سيبويه "يستحق بما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره... مفخرة من مفخرة العرب!"

وقد تجاوز شاده هذا الذي فهم إجمالاً من دراسته فقرر ما يلي:

أ- معرفة سيويه لعدد من آلات النطق الطبيعية؛ يقصد أعضاء الجهاز النطقي (ص ٣٢-٣٤)، صحيح أنه رصد بعض وجوه الخلل في مدارك سيويه، مما انعكس على فهمه لبعض المسائل الصوتية على غير فهمها الحقيقي، ولكنه اعتذر له بما كان عليه عصره من الناحية التقنية التي منعت من إدراكه لحقيقة بعض الأعضاء في الجهاز النطقي.

ب- إدراك سيويه لمعنى الصوت إدراكاً صريحاً (ص ٣٤).

ج- إدراك سيويه لحقائق توزيع الأصوات العربية على مخارجها وصفاتها المختلفة. وهو الأمر الذي يؤكد جان كانتينو عندما يقرر في (دروس في علم أصوات العربية، ص ١١ وما بعدها) توفيق سيويه، ونجاحه في إدراك عددٍ ضخمٍ من المعلومات الصحيحة فيما يتعلق بحقيقة الصوتيات العربية، وهي مرصودة عنده بدءاً من مقدمة كتابه، يقول: "لقد كان قدماء النحاة العرب أول علماء الأصوات في لغتهم، فنحن نجد في كتاب سيويه ترتيباً صحيحاً للحروف حسب مخارجها، وملاحظات هامة حول صفات الحروف، وبحث غزير المادة في إدغام الحروف، ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات، وباعتلال جروسها (رنينها)، وإشارات إلى مختلف الألسن الدارجة وخصائصها الصوتية".

ويحسن تأمل ما ورد في هذا النقل من أوصاف الصحة، والأهمية والغزارة التي لازمت تعبيرات وصف منجز سيويه، وهو ما يؤكد أن بعضاً من أسباب تقدير منجز سيويه وهيمته على إنتاج الخالفين راجع إلى علامات الصحة العلمية التي سكنت هذا المنجز الذي خلفه سيويه.^(١٧)

ويتواصل التعبير عن تقدير القيمة العلمية من قبل الدارسين المعاصرين لما توصل إليه سيبويه، إذ نجد هنري فليش يقرر أن تعاليم سيبويه في مجال دراسة الصوتيات (ص ٥٢ / س ٢) "تعد أساسية في الموضوع"

وأحسب أنه ليس ثمة حاجة لنقل ما يفيد تثمين العلماء العرب المعاصرين لما توصل إليه سيبويه في ميدان الدراسة الصوتية للعربية؛ فهو أمر شائع فاش متواتر.

وربما انضاف إلى هذه العلاقة وتفرع منها منهجية معالجته للدراسة الصوتية التي رأى فيها القدماء من علماء العربية انضباطا، ورأى فيها المعاصرون من دارسي العربية اقترابا من مناهجهم المعاصرة في دراسة اللغة، وهو ما ظهر عند غير واحد منهم في تعبيرهم عن منهج دراسته للأصوات العربية بأنه منهج وصفي، يسعى للكشف عن الخصائص الذاتية لهذه الأصوات اللغوية العربية؛ متذرعا بالملاحظة والتجريب في التوصل إلى هذه الخصائص، على ما يظهر واضحا في تحديده لأعضاء النطق وفي كيفية إنتاج الأصوات، وفي تعيين مخارجها وصفاتها. وهى المنهجية التي أعلنت من جوانب الصحة والدقة فيما رصده، وقللت من أخطائه التي أخذها عليه المعاصرون.

ثالثا - الريادة التاريخية؛

وثمة شيوع لفكرة أن الإنسان - من وجهة نفسية - يقدر القديم، ويحن إليه، لا لشيء إلا لأنه قديم، وهذه الفكرة لها انعكاسات في كثير من القضايا في غير ما مجال علمي.

ولعل ما أدركه بعض المناقشين لإنطاق الشخصيات العامة في الدراما التاريخية مع ما في ذلك من إخلال بفكرة الواقعية من أن مسوغ قبول ذلك راجع إلى ارتباط

هذا النوع من الدراما بسياج تاريخي قديم يمر نفسيا لدى المتلقي المعاصر؛ بسبب مما يسمى بالخنين إلى التاريخ، أو ما يسمى أحيانا باسم سحر القديم.

ولعل هذه الوجهة النفسية لدى من خلف سيبويه، بجانب ما مر من عوامل، أسهمت في خلق هذه السطوة التي تحققت لآراء سيبويه الصوتية على الخالفين من الدارسين على امتداد التاريخ.

وسيبويه - بعد ذلك - طليعة علماء العربية الذين عنوا بدراسة الأصوات العربية؛ لأسباب عديدة، دينية، وعلمية، وعملية، إذ توفي سنة ١٨٠ هـ، وهو ما يظهر من خلال قائمة شيوخه الذين يمثلون جيل الريادة العلمية في دراسة العربية، وتأمل أسماء هؤلاء الأعلام دال على ذلك؛ فقد تلقى سيبويه عن حماد بن سلمة، والأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد) وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وأبى زيد الأنصاري، وأبي عمرو بن العلاء والرؤاسي، وغيرهم^(١٨)

صحيح أن سيبويه مسبوق بما أنجزه الخليل بن أحمد ١٧٥ هـ في مجال الدرس الصوتي، لكن عددًا من الخصائص النوعية توافر لجهود سيبويه الصوتية لم يتوافر لجهود الخليل التي جاءت إسهاماته الصوتية موجزة، وناقصة، وغامضة، وغير مستوعبة لمباحث علم الأصوات النطقي، الذي استوعب منجز سيبويه عندما تعرض لأصوات العربية.

أضف إلى ذلك أن سيبويه يمثل البداية الفعلية و الناضجة للدراسة العلمية والنظامية للغة العربية، بما فيها النظام الصوتي الذي درسه سيبويه في إطار دراسة شاملة لنظام اللغة العربية، وهو الأمر المتميز عن صنيع الخليل بن أحمد الذي جاء

إسهامه في الصوتيات العربية بعيداً عن دراسة النظام الحاكم للغة العربية، أي بعيداً عن دراسة القواعد الحاكمة للعربية.

ومن هنا فإن علامات الريادة التاريخية التي تحققت لسيبويه، نفسياً و علمياً، وتقدماً تاريخياً، أسهمت مع غيرها مما سبق في تحقيق ما سمت هذه الورقة باسم السطوة والهيمنة والسلطة التي كانت جواز مرور لآراء سيبويه الصوتية إلى الأدبيات اللغوية والصوتية تعييناً، على امتداد التاريخ بعد هذا الرائد العظيم.

● سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على الخالفين: (الأبعاد والحدود)

أخذت سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية أبعاداً وحدوداً ونطاقات مختلفة؛ وهو ما ظهرت بعض علاماتها وملاحمها فيما سبق في أثناء الحديث عن كثافة الاستشهاد بأقواله في المراجع التالية له.

ومن الحق أن نقرر أن إسهام سيبويه في دراسة أصوات العربية الذي وجد طريقه إلى المصنفات اللغوية بعده، وهيمن على توجيه الدراسة الصوتية بعده اتخذ أشكالاً متنوعة، تعكس حجم إنجازه، و توزع جهده في الدرس الصوتي في الحدود والنطاقات التالية:

١- معرفة الجهاز النطقي، وأجزائه:

(شاده ص ٣٢ وكانتينو ١٧)

٢- تقدم دراسة إنتاج الأصوات عنده، و تقدم إدراك مواضع الإنتاج:

(شاده ص ٣٦؛ ٤٤ و كانتينو ١٧ وما بعدها)

٣- صحة تقسيماته للأصوات:

(شاده ص ٤٣ و كانتينو ٢٠ وما بعدها)

٤- انضباط الجهاز الاصطلاحي للدراسة الصوتية العربية في إنجازه:

(شاده ص ٣١ و ما بعدها و كانتينو ٣٥ و ما بعدها)

٥- تقدم دراسة سيبويه لمظاهر التشكيل الصوتي (الإدغام/ والوقف/ والغنة/ والإمالة):

(شاده ص ٧١ و كانتينو ص ٣٥ و ما بعدها) ففي نهاية وصف إنتاج كل صوت

بيان لحالات إدغامه).

ومن تأمل هذه المباحث يتضح لنا أن الحدود و النطاقات التي تحرك فيها

سيبويه وهو يعالج درس الأصوات العربية ما يلي:

أولاً- الوفاء لفرع علم الأصوات النطقي، كما ظهر في عمق ما توصل إليه سيبويه

في بيان كيفية إنتاج الأصوات العربية، وتعيين مخارجها، وصفاتها بدقة، يقر له

بها المعاصرون من دارسي الأصوات العربية.

ثانياً- إدراك ما يمكن أن يصيب الأصوات في انسجامها في البنية، والتوصل إلى بعض

القوانين الحاكمة المفسرة لهذه التغيرات التي تصيب الأصوات، وهو بعض

ما يُعنى به علم الأصوات الوظيفي.

ثالثاً- معالجة بعض ما يمكن أن يدخل في فرع علم الأصوات السمعي، وهو ما يظهر

في تعيين جروس بعض الأصوات، و تفاوت بعضها في درجتها، وهو

ما يعرف الآن باسم الرنين، و تفاوت الأصوات المجهورة والمهموسة في القمم

الإسماعية، لمصلحة المجهورة علوًّا في مقارنتها بالمهموس منها.

رابعاً- الانضباط في تعريف المصطلحات العلمية لعلم الأصوات في كثير جدا مما

عرفه، صحيح أن بعضا من تعريفاته جاء غامضا، واستمر غموضه على

ما نرى مثلا له في تعريفه لمصطلحي الجهر والهمس، لكن ذلك قليل جداً إذا

ما قيس بحجم إنجازه في بناء معجم لتعريفات المصطلح الصوتي.

خامسا- إمكان القول بإدراك سيبويه لحاجة اللغة في دراسة بعض مستوياتها إلى استثمار علوم أخرى غير لغوية، وهو ما يمكن أن نشتمه من خلال تعيينه لأعضاء النطق، صحيح أن ذلك كان منه بطريق الملاحظة، ولكن إيجاءها بحاجة علم الأصوات النطقي إلى الدخول في علاقة بينية مع علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء أمر لا يمكن لأحد أن ينفيه.

ومن جهة ثانية فإن ما قيل عن الإيجاء بحاجة علم الأصوات للدخول في علاقة بينية مع علمي التشريح ووظائف الأعضاء، يمكن الإقرار بها في حاجته إلى الدخول بعلاقة بينية مع علم فيزياء الصوت، ولا سيما فيما يتعلق بتحديد جروس الأصوات، أو درجات رنينها.

ومن هنا فقد كانت هذه الحدود والأبعاد والنطاقات التي تكاد تتطابق في كثير مما توصل إليه علم الأصوات الحديث أسهم بدوره في استقرار هيمنة سيبويه بما هو رائد من أعظم رواد الدرس الصوتي للغة العربية، وسطوته على كتابات من خلفه من العلماء.^(١٩)

خاتمة

حاول هذا البحث أن يقرأ ملامح ما سماه سطوة آراء سيبويه في الدرس الصوتي للعربية بعده، سعياً إلى تقدير إمامته في درس العربية، وقد توصل البحث إلى ما يلي:

١- كانت تكرارية الاستشهاد المرجعي المتنوع بآراء سيبويه مقياساً ظاهراً في تقدير قيمة الرجل، وقيمة ما توصل إليه من حقائق تصف أصوات العربية، وتحيط بحقيقتها.

٢- أظهرت الدراسة امتداد تأثير سيبويه صوتياً على مستوى الزمان إلى اليوم، وعلى مستوى المكان، شرقاً وغرباً، وعلى مستوى العلوم المختلفة، لغوية وغير لغوية.

٣- أسهمت عوامل كثيرة في خلق هذه السلطة التي تمتعت بها آراؤه في مجال الدراسة الصوتية للعربية، وتوزعت على عوامل دينية بسبب نشأة علم الأصوات في حضان الدين، وبهدف خدمة الكتاب العزيز، وأخرى علمية دارت حول طبيعة معالجته ودراسته، وأخرى تاريخية بسبب من تقدمه الزماني.

٤- أظهر البحث ازدياد مساحة تقدير ما توصل إليه سيبويه من حقائق صوتية اتسمت بالصحة والدقة في دراسات المعاصرين الذين توفقوا أمام إسهامه.

٥- أظهر البحث تنوع الحدود التي تحرك فيها منجز سيبويه في الدرس الصوتي للعربية، حيث عالج في المقام الأول ما يدخل في نطاق علم الأصوات النطقي،

وإن لم يهمل نطاقات أخرى تدخل في بابه علم الأصوات الوظيفي، وعلم اللغة السمعي.

٦- أظهر البحث إمكان تقرير احتمال إدراك سيبويه لحاجة الدراسة الصوتية للعربية للدخول في علاقات بينية مع علوم أخرى كالتشريح و الفيزياء. و بعد، فإن من مجموع ما سبق هنا يمكن أن نقرر أن سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية ملمح دال على إمامته في ميدان دراسة العربية إجمالاً، وعلى ريادته في الدراسة الصوتية للعربية تعييناً.

الهوامش والتعليقات:

- (١) سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرناً، لكوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ص ٣.
- (٢) الأول للدكتور خالد فهمي، وكان نشره في مجلة كلية الآداب / جامعة المنوفية، ع ٥٤ يوليو سنة ٢٠٠٣ م، ص ٦٩-١١٠. والثاني للدكتور عباس السوسوة، وكان ورقة قدمها لمؤتمر التفكير المنهجي في العلوم العربية والإسلامية بجامعة الفيوم في إبريل سنة ٢٠٠٨ م.
- (٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٢٧. وانظر: سطوة القافية، ص ٧٣.
- (٤) انظر في تعريف الاستشهاد المرجعي ومناهجه: الدليل الإرشادي لصياغة الاستشهادات المرجعية، ص ١٧ وما بعدها.
- (٥) رحلة عبر الزمن الطريق إلى نوبل، ص ١٤٦.
- (٦) آفاق جديدة في دراسة اللغة و الذهن، مقدمة المترجم، ص ١٦.
- (٧) آفاق جديدة في دراسة اللغة و الذهن، مقدمة المترجم، ص ١٧.
- (٨) الاستكمال، لابن غلبون (الدكتور عبد الفتاح البحيري) و في طبعة الدكتور عبد العزيز على سفر ٢٠٢/٢.
- (٩) لم يتطرق الدكتور محمد صالح الضالع في كتابه (علم الأصوات عند ابن سينا)، وهو عنوان الطبعة الأولى الصادرة عن دار المعرفة الجامعية؛ بالإسكندرية بلا تاريخ، ولا في طبعته الثانية التي حملت عنوان (علوم الصوتيات عند ابن سينا) الصادرة عن دار غريب، بالقاهرة سنة ٢٠٠٢ م - إلى تأثير سيبويه أو غيره من علماء العربية القدامى في البناء المعرفي لكتاب ابن سينا (رسالة في تفسير حدوث الحروف)، إذ كان مشغولاً ببيان ملامح تفرد ابن سينا وريادته.
- (١٠) وثمة حضور طاغ دال على سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية في مجال المعجمات الاصطلاحية التي جمعت مصطلحات الأصوات العربية، سواء كانت معجمات مصطلحات عامة، أو معجمات لمصطلحات النحو تعييناً، حيث يندر ألا تجد واحداً من هذه المعجمات لا يعتمد تعريفات سيبويه لمصطلحات الصوتيات، ولا سيما الهمس و الجهر و غيرهما.

- (١١) انظر في ترجمته: المستشرقون، للعقيقي، ٤٤٨/٢.
- (١٢) علم الأصوات عند سيبويه و عندنا، لشاده (د. صبيح التميمي) ٣١، ص.
- (١٣) كان أصله محاضرات ألقاها بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٩م، ثم طبعها محمد حمدي البكري في العام نفسه، وصورها المركز العربي للبحوث بالقاهرة سنة ١٩٦٨م، ثم حققها الدكتور رمضان عبد التواب و نشرها بالخانجي سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- (١٤) قارن على سبيل المثال بين هذا التعامل الواعي لمنجز سيبويه في الدرس الصوتي عند الدكتور غائم قدوري الحمد و بين الدكتور مصطفى التوني الذي كاد يهمل منجز سيبويه تماما في كتابه (آليات النطق عند علماء التجويد) القاهرة، ١٩٩٤م.
- (١٥) جدير بالذكر أن الدكتور عبد العزيز الصيغ كان كتب رسالته للدكتوراه عن (الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث).
- (١٦) يقرر دافيد كريستال مثلا في مدخل (اللغة و الدين) ص ٣٨٢ من موسوعة كامبردج للغة: "إن أنظمة الكتابة في العالم اليوم تعكس الارتباط بتوزيع الأديان في العالم بوضوح أكثر من الارتباط بتوزيع العائلات اللغوية!"
- (١٧) انظر وصفا إجماليا آخر يقول فيه ص ٥١: إن دراسات العرب الصوتية "هي دراسات نفيسة".
- (١٨) انظر: مقدمة تحقيق كتاب سيبويه لعبد السلام هارون، ج ١/ ص ٨-١٣.
- (١٩) راجع بعض أدلة هذا الإيجاز والغموض والنقص في: التفكير الصوتي عند الخليل، للدكتور حلمي خليل.

المراجع

- آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، لتشومسكي، ترجمة: الدكتور حمزة المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- آليات النطق عند علماء التجويد، للدكتور مصطفى التوني، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل في مذهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة وما كان بين اللفظين مجملا كاملا، لابن غلبون، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح بحيري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.
- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل في مذهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة وما كان بين اللفظين مجملا كاملا، لابن غلبون، تحقيق: الدكتور عبد العزيز على سفر، الكويت، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- الانتصار لسيبويه على المبرد، لابن ولاد، تحقيق: الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.
- تجويد القراءة ومخارج الحروف، لابن وثيق الأندلسي، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- التطور النحوي للعربية، لبرجشتراسر، إعداد: محمد حمدي البكري، طبعة مصورة للمركز العربي للبحوث، بالقاهرة ١٩٦٨م عن طبعة جامعة القاهرة ١٩٢٩م
- التطور النحوي للعربية، تحقيق و تصحيح: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

- التفكير الصوتي عند الخليل، للدكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية للدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٦م.
- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، للسعيد، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- جهد المقل، للمرعشي، تحقيق: الدكتور سالم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- حجة القراءات، لأبي زرة بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- دراسات في علم المعلومات للدكتور حشمت قاسم، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، للموصللي، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ترجمة: الدكتور صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦م.

- الدليل الإرشادي لصياغة الاستشهادات المرجعية، للدكتور محمد النجار، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.
- رحلة عبر الزمن: الطريق إلى نوبل، للدكتور أحمد زويل، مركز الأهرام، القاهرة، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.
- رسالة أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى ميرعلم، ومراجعة الدكتور شاكر الفحام و أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- رسالة في اللثغة، ليعقوب الكندي، تحقيق: محمد حسان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ٣ لسنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: الدكتور حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، تحقيق: الدكتور النبوي شعلان، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- سطوة الشهرة على آراء الباحثين في اللسانيات العربية، للدكتور عباس علي السوسوة، ضمن أعمال مؤتمر التفكير المنهجي في العلوم العربية والإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠٠٨م.
- سطوة القافية: أثر القافية في التطور الصوتي، للدكتور خالد فهمي، مجلة كلية الآداب / جامعة المنوفية، ع ٥٤ لسنة ٢٠٠٣م.

- سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرناً، لكوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، لعبد الدائم الأزهرى، تحقيق: الدكتور نزار خورشيد عقراوي، دار عمار، الأردن، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- العربية الفصحى: نحو بناء لغوي جديد، لهنري فليش، ترجمة: الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، شاده، إعداد: الدكتور صبيح التميمي، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- علم الصوتيات عند ابن سينا، للدكتور محمد صالح الضالع، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، للدكتور عبد العزيز علام، القاهرة، ١٢١٠هـ=١٩٩٠م.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها، لمكي بن أبى طالب، تحقيق: الدكتور محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الكلام أو الموت: اللغة بما هي نظام اجتماعي دراسة تحليلية نفسية، للدكتور مصطفى صفوان، ترجمة: الدكتور مصطفى حجازي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.

- مخارج الحروف و صفاتها، لابن الطحان، تحقيق: الدكتور محمد يعقوب تركستاني، بيروت، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، للدكتور غانم قدوري الحمد، المجمع العراقي، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.
- المستشرقون، للدكتور نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، للدكتور عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ١٩٩٨م.
- مفتاح العلوم، للسكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، بلا تاريخ.
- المفصل في علم العربية، للزنجشري، تحقيق: الدكتور فخري صالح قدارة، دار عمار الأردن، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

المراجع الأجنبية

Cambridge Encyclopedia of Language, by: David Cristal, Cambridge, uni. Press, 1987.